مفهوم الجمال في الفن عامة والشعر خاصة

م. د. أناهيد ناجي فيصل
جامعة ذي قار- كلية التربية للعلوم الإنسانية - قسم اللغة العربية
E-mail: dr.anahed.n@utq.edu.iq

الملخص

يُعد الجمال أحد أوجه الفن الأساسية ، وهو نشاط روحي قبل كل شيء، تتجلى فيه اللطافة والأناقة والمتعة والإثارة ، وهو عينه ذلك الإدراك للنظام والتوازن في العلاقات سواء كانت في الطبيعة الخارجية أم في الأعمال الفنية التي يتدخل الانسان في صنعها، وتتوافر فيها مجموعة من الخصائص التي تسمها بسمة الجمال ، ليأتي دور التأمل في الوقوف على دقائق الجمال ، فتبرز لنا مسألة الذوق والتذوق الجمالي التي تستند أساساً على وعي وخبرة وإحساس المتذوق، ومدى التفاوت بين كل فرد وثقافة وحضارة، وما يمكن ان يزيده هذا التذوق من تغيير في الإحساس وتلمس للجميل وتطور في الإستجابة الوجدانية والإنفعالية لمظاهر الجمال، إذ بدأ الإهتمام بالجمال واقعاً ضمن المنظور الفلسفي، بل ضمن الهيكلية الفلسفية العاملة المتكونة من المعرفة والوجود والأخلاق ، فالجمال في كل ذلك كان له وقع خاص في إمتزاج تلك الأركان الفلسفية ، ليتمخض عنها أُسس فلسفية خاصة تُعنى بالجمال .

الكلمات المفتاحية: الجمال ، الفن، الفلسفة ، الطبيعة ، الأنسان ، الحياة.

Abstract

Beauty is one of the highest values that can be felt in everything around us, as we see in real life the beauty of nature and the colors and sounds and movements that control the occurrence and character characteristic aesthetic component, Vtgdwa diverse scene works with different relative strengths and mobility intersecting components consistent in position And the significance as a necessity of the necessities of the process of adaptation and adaptation to the emergence and disappearance, progress and accompaniment, each complementing each other mutually complementary to contribute to the direction of the aesthetic landscape in general, and stand at the so-called (beauty) in human thought includes two important dimensions: Which includes the developments that included the study of aesthetics from the old to the modern studies, and the second: to highlight the images of beauty and its interests and its relationship to various human, cultural and social

phenomena, as the aesthetic thought underwent a great development from the origins to the ramifications of various developments and ideas included Beauty and aesthetics that are subject to the impact of the development of culture, the interest in beauty began to be a reality within the philosophical perspective, but within the working philosophical structure of knowledge, existence and ethics, beauty in all this had a special impact in the mixing of these philosophical pillars, We have a special philosophical foundations for beauty, to show us the role of art and artist in highlighting the beauty features of this art, and what this artist creates on various physical and sensory levels.

المقدمـــة

قيمة الجمال

يعد الجمال من القيم العليا التي يمكن تلمسها في كل ما حولنا ، اذ نراه يطالعنا في واقع الحياة بجمال الطبيعة وما فيها من الوان وأصوات وحركات يتحكم في حدوثها وبطابعها المميز المكون الجمالي لها ، فتغدو مشهداً متنوعاً يعمل بقوى نسبية مختلفة وحركية تتداخل فيها مكونات متناسقة في المكانة والمغزى كضرورة من ضرورات عملية الموائمة والتكيف بالظهور والاختفاء والتقدم والمصاحبة وكلٌ منها يكمل بعضه بعضاً تكاملاً متبادلاً للإسهام في توجيه المشهد الجمالي بصورة عامة ، وبناءً على ذلك يغدو الفعل الجمالي أُساً منسقاً للكيان الإنساني والحياة الإنسانية عامة ، وقد ثارت الكثير من التساؤلات حول موضوع الجمال ومصدره وأختلاف وجهات النظر فيها ما أدى الى بروز ما يعرف بـ (مشكلة الجمال) ومحاولاتها في رد أصل الجمال الى مناهج العلوم، الاّ أن ذلك لم يكن ليضعف من معنى الجمال الذي فطر الانسان على الإحساس به فضلاً عن قيمته الروحية الكبيرة، وما يمكن أن يحمل متذوقه على التأمل بعمق ذلك أن النظر الى الأشياء نظرة جمالية تستوجب الإستغراق والتمعن للإنفعال به والإنتقال الى عالم آخر هو ما يسمى بـ (عالم الجمال)، ((فالعمل الفني ليس رؤيا تلقائية وفطرية، بل هو عمل قد صنع بفطنة وأعتصر بالكثير من الجهد والعناء من بين مادة التجربة الضخمة، ومهمة الفنان تقديم الأشياء بوصفها حقائق ، وعند القيام بذلك يكون أول فضل كبير يقدمه لنا هو تبديد تصوراتنا السابقة وإدعاءاتنا والأشياء التي نطمئن اليها ، اما مهمته الثانية فهي إكراه انتباهنا حتى يخضع خضوعاً كبيراً للقاء المباشر وبذلك تقرر الأشياء إنفرادها ، وتنبه اليها بوصفها أشياء مشخصة للغاية ومحددة))[1] .

ابعاد الجمال :

ان الوقوف عند ما يسمى بـ (الجمال) في الفكر الإنساني يتضمن بعدين هامين: أولهما البعد التاريخي الذي يشمل التطورات التي شملت دراسة الجماليات ابتداءً من القديم الى الدراسات الحديثة، والثانية: تسليط الضوء على صور الجمال وأوجه الإهتمام بها وعلاقتها بمختلف الظواهر الإنسانية والثقافية والإجتماعية، إذ خضع الفكر الجمالي الى تطور كبير بدءاً من الأصول الى ان تشعب الى تطورات وأفكار مختلفة شملت الجمال والأستطيقا الخاضعان الى أثر تطور الثقافة بصورة عامة، وتاثيرها في عملية الخلق الفني لاسيما ان علم الجمال قد ولد في احضان علوم متعددة كالفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس والتاريخ وغيرها من العلوم، ثم أن مفهوم الجمال بدوره يعد من المفاهيم الملاصقة للفن عامة، والعمل الادبي خاصة، وما يتمخض عنه في الربط بين المخيلة والصور الجمالية المتناثرة والمستمدة من قيم الوجود الانساني، ما يعكس لنا الدلالة العميقة للعمل الفني، وتعبيره عن قيم شاملة للماضي والحاضر وما يستشرفه للمستقبل، دلالة على التفاعل والإنفتاح، وهو في كل هذا قابل لأن يزيد في كل مرحلة من مراحل الزمن الجديد لمفهوم وماهية العملية الإبداعية، وما يمكن أن تخضع له القيم الجمالية من تطور خاضع بدوره لتطور المجتمع وآيديولوجياته وأفكاره ،وهذا يحدو بنا للحديث عن فعل الزمن وتطور الوعي الجمالي ذلك أن ((العملية الجمالية ديالكتيكية الطابع ولها إيقاع يتكون من مرحلتين متبادلتين، إنبساط وإنقباض، وهي مرتبطة بعضها ببعض إرتباطا وثيقاً، واذا تحقق الجمع بينها سوياً تسنى لنا الإهتداء الى نظرية مفهومة عن قوام التجربة الجمالية)) [(2)] فضلاً عن دور التأمل في الوقوف على دقائق الجمال فتبرز لنا مسألة الذوق والتذوق الجمالي التي تستند أساساً على وعي وخبرة وإحساس المتذوق، ومدى التفاوت بين كل فرد وثقافة وحضارة، وما يمكن ان يزيده هذا التذوق من تغيير في الإحساس وتلمس للجميل وتطور في الإستجابة الوجدانية والإنفعالية لمظاهر الجمال، والجمال هو عينه ذلك الإدراك للنظام والتوازن في العلاقات سواء كانت في الطبيعة الخارجية، أم في الأعمال الفنية التي يتدخل الانسان في صنعها، وتتوافر فيها مجموعة من الخصائص تسمها بسمة الجمال، ثم أن المهتمين بالجمال أنفسهم قد تعددوا وفقاً لإشتغالاتهم ما بين فنانين جماليين وفلاسفة ومفكرين منظّرين للجمال، وهم يتوزعون بين أدباء وشعراء ومصورين ونُحاة، ليلوح لنا تساؤلٌ يعرض أمامنا في كل فترة، هل هناك حاجة الى إبداع الجمال لإثارة الإحساس وتوليد الإستجابة ؟ نعم إنها الحاجة للشعور باللذة والمتعة والارتياح، والتي قد نتكبد جرّاءها عناءً شديداً للظفر بها، وهذا ما يفسر لنا الحاجة الجمالية في حياتنا ووجودها المُلح في دعم الإنسان على جميع المستويات المعنوية والإجتماعية والعملية ، وجعلها أكثر إمتزاجاً في واقعه وحياته لأنها تعد في بعض الأحيان مرآة لحاجاته وميوله وهمومه وهي أداة التواصل مع الآخرين، ثم أن هناك تجاذب في العلاقة مع كل ما هو جميل بمعنى أن هناك أخذاً وعطاءً في إستمداد ما هو سامٍ وعظيم وحكيم في الوقت نفسه في حالة من التأمل، هي مزيج من ترابطات وعلاقات قابعة في النفس تتفاعل مع ما هو جميل وتخيل ما هو أجمل للتأثير، عبر التنوع في المعالجة الناشئ عن تنوع صور الجمال .

علاقة الجمال بالفن

ويُعد الجمال وهو أحد أوجه الفن الأساسية نشاطاً روحياً قبل كل شيء، تتجلى فيه اللطافة والأناقة والمتعة والإثارة، لذا ((فمن الخطأ أن نتصور العمل الفني مجرد تجربة لإنفعال شَعَرَ به الفنان قبل البدء في إبداع عمله، وفي رأي (لنجوود) ليس الإنفعال سوى إضطراب نفسي يتم تبنيه وتنقيته خلال عملية إبداع العمل الفني، الى أن يتمكن الفنان من التعرف على الإنفعال بما هو))[3]، ولذا فقد عُرّف الفن عند الكثيرين على أنه ((متعة فنية أو لذة جمالية ، ومنهم (مولر فرينغلس) في كتابه (سيكولوجية الفن)، إذ ذكر أن لفظة الفن هي من الألفاظ التي تطلق على شتى ضروب النشاط أو الإنتاج التي يجوز أو ينبغي أحيانا أن تتوفر منها آثار جمالية))[4] الاّ أن (كروتشه) يقول بضرورة التفريق بين ما يثيره الأثر الفني من لذة أو متعة جمالية، وبين المعايير الحقيقية للفن، فليس كل لذة يثيرها الأثر دليلاً على قيمته وليس الأثر النفسي الذي يتركه عمل من أعمال الفن هو المقياس على الجودة، لذا فيجب أن نتمهل في تجربة التذوق الفني، والحكم على الأثر الفني، بأن نرجع الى مقاييس غير مقاييس المتعة واللذة، وأن ننظر في العلاقات والإيحاءات وقدرتها على التعبير عن المواقف ومدى إمكانات الفنان في إستغلاله لمادة فنّه وأن نستنبط أحكامنا الفنية من داخل الأثر لا من خارجه مع تجنب العوامل النفسية الخارجية التي قد تتسلل الى أحكامنا[5]، لذا فقد اختلف الحديث عن المتعة الجمالية بإختلاف الحديث عن الجمال وماهيته، إذ أن هناك من يجعلها امراً اساسياً وغاية الجمال بذاته، وهي ايضا غاية لذاتها، فضلاً عن وظيفتها التي تؤديها في عملية التلقي، ذلك أن المتعة الجمالية تتضمن لحظتين: الأولى تنطبق على جميع المتع، حيث يحصل إستسلام من الذات للموضوع أي من (القارئ الى النص) والثانية تتضمن إتخاذ موقف يؤطر به القارئ وجود الموضوع ويجعله جمالياً، هذا من جانب، ومن جانب آخر نرى من يجعلها أمراً ثانوياً لا يمكن التعويل عليه أبداً[6] ولذا فأن مسألة التعرف على الجمال كانت لها أهمية كبيرة ومثار جدل بين المنظّرين، إذ أن النزعة المعرفية كانت تطلق على النظرية التي كانت ترى أن قيمة الفن تكمن فيما نتعلمه، ومن جانب آخر ((أن هناك بعض الفلاسفة يرى أن توسيع معارفنا ليس المهمة التي يتعين على الفن القيام بها، بل أن التمسك بالنزعة المعرفية في الفن هو نوع من الإستسلام لرأي متحيز ضد الفن بمعناه الصحيح))[7]، الاّ أن (كروتشه) قد وقف على حقيقة المعرفة الحقة والمستندة على فكرة مفادها، بأن للمعرفة صورتين: معرفة حدسية، ومعرفة مفهومية، فالمعرفة الحدسية هي إدراك للصور الجزئية الفردية وهذا هو الفن، أما المعرفة المفهومية، فهي إدراك للعلاقات الكلية، وهذا هو المنطق، أما (كانط) فقد تنازعت آراؤه وتجاذبت في ذلك، فبعد أن كان يرى أن الجمال يكون بدون مفهوم وأنه منزه عن الغرض مع وجود غاية لا يتصورها، وأنه يحدث لذة ولكن لذة عمومية، فنراه يرجع بعد ذلك ليرى أن في تعريفه الأثر الفني بأنه التصور المقابل لمفهوم [8] بل أنه قبل الغائية الخارجية نفسها حين فسر الجمال بأنه ((رمز الى الأخلاق))[9]، كذلك هو (هيغل) فبعد أن قرر الحدسية للتصور الفني وأعترف بأن الجمال ينتسب الى الفكر لا الى الطبيعة، نراه يقيم مذهباً للجمال في الطبيعة، ويعود

الى نوع من الأفلوطينية [10]، وعلى الرغم من ذلك فإننا اذا رجعنا الى اللغة اليونانية فإننا لا نرى وجود إطلاقاً لأية صلة بين الجمال والفن فلقد قال (أفلاطون) الكثير عن الجمال الاّ أنه ((لم يخرج في مضمون ما قاله عن إستخدم اليونانيين للكلمة، فعنده جمال الشيء هو ما يرغمنا على الإعجاب به وأرتغابه، وأن نظرية الجمال عند أفلاطون لا ترتبط بنظرية الشعر أو أي فن آخر، بل هي مرتبطة بنظرية الحب والأخلاق))[11]، ويقول (أرسطو) عن الفعل النبيل ((بأنه عمل من أجل الجمال، وهو بدوره أيضاً نظرية للمعرفة، تدل على ما يجذبنا الى طريق الفلسفة والبحث عن الحقيقة))[12].

الجمال في نظر الفلاسفة

وبصورة عامة فقد بدأ الإهتمام بالجمال واقعاً ضمن المنظور الفلسفي، بل ضمن الهيكلية الفلسفية العاملة المتكونة من المعرفة والوجود والأخلاق ، فالجمال في كل ذلك كان له وقع خاص في إمتزاج تلك الأركان الفلسفية ، ليتمخض عنها أُسس فلسفية خاصة تُعنى بالجمال ، ليبرز لنا أثر الفن والفنان في إبراز ملامح الجمال فيما ينماز به هذا الفن ، وما يبدعه هذا الفنان على مختلف الأصعدة المادية والحسية ، وهذا عينه ما نراه في الفن الاغريقي مثلاً ، فالفنان الإغريقي كان يسعى الى تحقيق التناسب والتوافق في أعماله الفنية ضمن نظام موحد ينظم مقياس الأشياء، وقد أصبح الفن عندهم هو الجمال القائم على الوحدة ، وكانت هذه المبادئ أساساً للفن ، وفلسفة قائمة على الإنسان كعنصر جمالي، فقد أستخدم (هوميروس) ((تعبير الرائع والتناسق والجمال لأن في رأيه كل ما هو جميل ومتناسق ورائع هو واقعي يستطيع الإنسان أن يفهمه ويلمسه بحواسه))[13]، أما صاحب المدرسة الفيثاغورسية (فيثاغورس) فيرى أن تناغم وتناسق الأرقام أستعمله الفيثاغورسيون في الموسيقى،((فهم أول من قالوا إن قوة الصوت تتوقف على طول الأصوات المهتزة))[14]، أما (هيرقليط) وهو من الطبيعيين الأوليين فيرى ((ان في جملة الأضداد يقع التناسق وما الجمال لديه الاّ هو تناسق وحدة الأضداد، فالطبيعة تنزع الى الأضداد، وفي هذه الأضداد يتكون التناسق، إذ أن الطبيعة ربطت بين الذكر والأنثى وليس بين الجنس الواحد، ولذا فإن أول إرتباط أوجدته الطبيعة يكون في الجمع بين الأضداد، وهذا عينه ما نراه في الفن، إذ أن ما يعبره الفنانون في لوحاتهم من حيث تداخل الألوان، الأسود بالأبيض، والأحمر بالأصفر، هو تماماً ما نقع عليه في الموسيقى بالتناسق الموحد بين مختلف الأصوات والأنغام المنخفض والعالي أي تناسق الأضداد))[15]، ثم أخذ التفكير الفلسفي في الجمال يتسع أكثر فأكثر بمجيء (سقراط) من خلال محاوراته حول المعرفة العلمية والذي يعد العقل أساساً لها، جاعلاً الحواس تاليةً له، وذلك لإمكانياتها الجزئية في الوقوف على المعرفة الحقة، وحاول(سقراط) أن يضع أساساً قوياً لنظريته الجمالية مؤكداً على ((العلاقة القوية بين ما هو أخلاقي وما هو جميل ، والفضيلة معيار يقيس به أفعال الناس ويميز خيرها من شرها والإدراك العقلي للفضيلة ليس غاية في ذاته وإنّما وسيلة الإنسان ليسلك في هذه الحياة سلوكاً فاضلاً ليتم التوحيد بين الفضيلة

والمعرفة))[16] التي على أساسها بنى نظريته الجمالية، وبما أن الجمال ((له علاقة وثيقة بالأخلاق فكل فن جميل، والنحت فن من الفنون قادر على التعبير لأنه ينقل جمال النفس الحقيقي))[17]، وعلى أية حال فإن مفهوم الجمال عينه كمفهوم الرمز شديد الإلتباس والتحديد، والوقوف على أصول له ومقاييس إنطلاقاً من مقولة (كانت) التي حدد فيها مفهوم الجمال في رأيه قائلاً: ((وليس هناك قاعدة محسوسة تحدد بواسطة المقاييس أو الصور ما هو جميل، ومن العبث أن نحاول إيجاد مبدأ ذوقي يعطينا بواسطة صور أو تصاميم معينة مقياساً عاماً للجمال، لأن ما نحاول إيجاده مستحيل ومناقض لذاته))[18]، وبما أن الجمال من المصطلحات الملاصقة للفن فقد وجدت كلفظة غير معلومة الملامح وقد أمتزجت مع بعض المصطلحات كالخيال مثلاً، وقد أمتدت معرفة الجمال والتنديد به منذ عهد الاغريق الذين أهتموا به أهتماماً بالغاً ، وجعلوه ثالث ما نادى به فلاسفتهم (الخير، الحق، الجمال)، وإذا وقفنا عند معنى الفن فنراه محاولة لخلق أشكال ممتعة، ومثل هذه الأشكال تشبع إحساسنا بالجمال لنكون بدورنا قادرين على تذوق الوحدة والتناغم بين مجموعة من العلاقات الشكلية من بين الأشياء التي تدركها حواسنا[19] . وهو جدير بخلق نوع من التفاعل والإنسجام والإرتياح مع ما حولنا، ليحصل التكافؤ التام بين الحدس والشعور، وبما أن الحدوس متعددة ومتقلبة، فيمسي الأثر الفني شيئاً قائماً على المعرفة الجمالية في تلمس العلاقات القائمة بين الأشياء وطبيعتها والحكم عليها إذ إنها تلتقي بعاطفة الإنسان ومشاعره الجياشة وعقله الواعي في الوقوف على دقائق الجمال وتمييزه من غيره، لذا فان الرؤية الجمالية نابعة من إثارة التذوق وتحفيز النفس على البحث عن المزيد من الجمال، الاّ أن هذه الأحكام على وفق منهج وقواعد معينة، وهنا يلوح سؤال مهم أمامنا وهو هل الفن شيء مادي غير واقعي أم أنه واقعي؟ وهل تلك المعاني المكتسبة للجمال هي من تصنع لنا الفن؟ وهنا سوف نقف أمام هذا الأثر الفني موقفين، أمّا موقف المستمتع المتذوق ليترك فينا أثره الجمالي، أو أن نقف موقف الحازم في تلمّس دقائق الألفاظ ومعانيها وعلاقاتها، وما يمكن أن ترسمه من مقاطع، وما يفصل بينها من أفكار، ليرجعنا هذا الى ضرورة معرفة فكرة الجمال والمنابع الرئيسية لها، إذ أنها أساساً كانت نابعة من فكرة العمل البشري وغاياته وأهدافه في إحداث النظام والإنسجام الى عالم الإنسان الخارجي ليتم التفاعل والتآلف والإستمرار، وقد حدد (ماركس) هذه الفكرة بالذات حين حدد جوهر النشاط الحياتي والإنساني بوصفه العمل طبقا لقوانين الجمال[20]، وهذه الفكرة تعد إمتداداً لأفكار سابقة في تفسير الكون إبتداء من الإعداد والإنسجام في المدرسة الفيثاغورية، ومن الفكرة الإفلاطونية، حتى الإنسجام الأزلي عند (لينبتس)، والماهية – الذات (الفكرة) عند (هيغل)، أمّا (أرسطو) في مقولته (الشكل الناشط) التي تغير المادة

السلبية للطبيعة فقد استشف ممارسة الانسان الإجتماعي التي تحتجب وراء الكون (لوغوس)[21]، ويعد الإهتمام بالناحية الجمالية إهتماماً بالجانب الروحي بالمقام الأول، وهو أيضاً الكنه الحقيقي للنشاط الفني، والنابع أساساً من التأمل ، فأي فعل لهذا التأمل في خلق الجمال والوعي به عبر التأمل اولاً في أنفسنا أو ما يسميه علم النفس بـ (الأستبطان النفسي) وبالتالي التأمل في خارج تلك النفس ليحصل التطابق والأنسجام، وتصبح النفس أكثر موضوعية في

الوعي بالجمال والوقوف عليه واستيعابه، إذ ((يؤكد علماء الجمال أنه لابد لطالب المتعة الفنية من أن يعود الى العمل الفني مرة بعد اخرى حتى يستشف ما فيه من جوانب غامضة غابت عنه في المرات السابقة ، فما كان العمل الفني ليبوح بسره للمتأمل العابر وهو الإنتاج البطيء الجهيد الذي لم يتولد الاّ بعد صراع عنيف ضد المادة))[22]. وهذا ايضاً يتعلق بطريقة نظر الفنان لما حوله في نقله للمدركات الحسية وطريقة التعامل معها، بتجسيدها بصيغات مبتكرة، بحيث ((تصطدم مكوناتها وتتداخل رموزها واشكالها وتكويناتها بطريقة مركبة تستدعي التريث والتأمل في نسيجها الفني الخاص لتنتج معاني معينة يقترحه التأويل الجمالي للمتلقي))[23]، وإن المواد الحرة الخاصة بالطبيعة كالألوان والأنغام تفيض عن الإدراك (تدعو للتفكير) أكثر مما يتضمنه المفهوم، فنحن لا نربط مثلاً اللون كمفهوم للإدراك قد ينطبق عليه، إننا نربطه بمفهوم مختلف تماماً وهو ((فكرة للعقل لا تشبه الأول الاّ من زاوية الانعكاس، فالزنبق الأبيض لا يربط بمفهومي اللون والزهر، بل يوقظ فكرة البراءة الخالصة التي موضوعها (أنعكاسي) للبياض في زهرة الزنبق، اذاً بالأفكار يكون هناك تقديم غير مباشر لمواد الطبيعة ودقائقها، وهذا التقديم يسمى (الرمزية) وقاعدته مصلحة الجمال، اذ ترمز مواد الطبيعة المحسوسة الحرة الى أفكار العقل، لتسمح هكذا للإدراك أن يتسع وللمخيلة أن تتحرر))[24]، ويرتبط موضوع الجمال بموضوع (الطابع الإدراكي) لما هو جميل ، فالإدراك يكون على نوعين: إدراك داخلي وهو يرتبط بالإستبطان أو (التأمل الذاتي) لحالاتنا النفسية وأفكارنا ومشاعرنا وإراداتنا وانفعالاتنا وعواطفنا، وآخر خارجي يدرك عن طريق الحواس، وان كلا الإدراكين خاصيتهما أنهماحاضران في الوعي[25]، وتتنوع مواضع إدراك الجمال ايضاً سواء في الطبيعة او في الفن وهو بذلك كثير الإختلاف، إذ إن إدراك الجمال الطبيعي لا يستدعي من الانسان تدريباً معيناً لأنه إدراك مباشر وعادي للأشياء والموجودات، أمّا إحساس الإنسان بالجمال بواسطة الفن، فانه يدرب إدراكه للواقع بواسطة العلم لفهم حقيقة الاشياء لمحاولة تفسير الجمال ((فمن خلال التعبير الفني يكتسب الجمال الطبيعي قيمة ويصبح موضوعاً للتذوق الفني .. اذ يظهر إحساس الإنسان وذوقه وقيمته... فعلم الجمال يعني بالقيم الجمالية التي تبدو في الأعمال الفنية)) [26]، فالفن يولد فينا كما يقول – نورثروب فراي – نوعاً من الخفة التي هي أشمل من اللذة.. وان البذخ هو الجمال بعينه ، والبذخ هوفكري بقدر ما هو عاطفي – لا سيما – اننا نعيش في عالم تتحكم فيه ضوابط خارجية ثلاثة: ضابط العقل وهو القانون ، وضابط الفكر وهو الواقع ، وضابط الشعور وهو ما تتميز به كل انواع اللذة، وكلما عنت كلمة الجمال الحلاوة أو الجاذبية وهي لابد أن تعني ذلك صارت هي الهدف الذي يسعى إليه الفن ، وهي بدورها هنا قد أصبحت رجعية تحاول أما أن تحدد ما يختاره الفنان موضوعاً له ، أو أن تحدد الطريقة التي قد يعالج بها موضوعه [27]، لذا فقد لا نلمس الجمال من الأنسجام التام وذلك النوع من التشابهات والتآلف والموافقات ، وانما قد يلوح لنا من خلال التباينات المتعارضة اذ يقول ك . سابينا ((قلت: إن الإنسجام يتولد من التباينات، والعالم كله يتكون من عناصر متعارضة و ...)) وقاطعني ماشا: ((الشعر الحق يحرك العالم بطريقة أشد جوهرية ومفاجئة بقدر ما تكون التباينات منفرة ، حيث يبرز تناسب خفي))[28]، وقد

وجد ريتشاردز في كتابه (أسس علم الجمال) أن الجمال هو ما يؤدي الى توازن في الحواس ، وأن الجمال تجربة او حال في الجمهور ، وانه ليس (شيئاً) غامضاً كامناً في العمل الفني نفسه ، الاّ أنه في الوقت نفسه صعب المراس -كما يقال - ويجب معرفة كيفية التعامل معه وتهيئة الأمكانيات الخاصة للتعبير عنه دون فقدانه لطابعه المميز أو تحويله الى أداة يمكن استهلاكها ، مما يكفل له استقلاله في صورته الخاصة ، اذ أن البحث في وجود الموضوع الجمالي – بصورة عامة – تحدده مجموعة من الأساليب المستندة لخبرة المبدع اولاً والمتذوق ثانياً ، اذ يستحيل الإبداع الى القدرة على خلق وسيط مادي يعمل كمماثل لموضوع جمالي متخيل ، ويصبح التذوق (تأملاً) لهذا الموضوع المتخيل من خلال هذا الوسيط ، او بتعبير أدق يصبح (أستحضاراً) لهذا الموضوع المتخيل الغائب[29]، الاّ أن هذه الخبرة والتي يمكن أن نسميها بالخبرة الجمالية بعيدة عن أن تكون ((مجرد إحساس أو تأثير أو تعبير فقط ، كما انها ليست في جوهرها إشارة الى الموضوع الحسي الخارجي، لا تمثيلاً به ، وهي ليست ضرباً من التصور الذهني ولا تعبيراً عن أمر موضوعي، أي أنها لا تنتمي الى الواقع العلمي .. وان كانت تلجأ الى بعض الوسائل التعبيرية التي يستخدمها العلم من أصوات وأشكال ، فمجال الخبرة الجمالية ليس الذاتي البحت ولا الموضوعي البحت ، أن مجالها بينهما))[30] ليحيلنا ذلك الى الرجوع لمعنى الفن وجوهره بصورة عامة بوصفه ((خبرة من نوع خاص ، ليست بالخبرة الذاتية ولا بالعقلية الموضوعية هو خبرة جمالية يصبح فيه الوصف او التعبير او التمثيل او التجسيم وسائل لخدمة مضمون الخبرة الجمالية ، فالخبرة الجمالية تكشف لنا ثراء ذاتنا بما تحمله ذواتنا من صور وما تبعث من عادات وحركات آلية – ولهذا فاننا – لا نفوز بالنشوة الجمالية الاّ بقدر ما أكتسبنا من خبرات ماضية قد محيت وتحولت الى جزء منا غير متميز عنا، وأصبحت لا لنا ولا منا، وذلك هو الشرط الأساسي للأبداع الفني والتذوق الفني على حد سواء))[31] وقد كان علم الجمال من العلوم التجريبية، هذا ما حدا (بفجنر) أن يضع أساس علم الجمال التجريبي 1871، اذ كان يعتقد أن التأملات الفلسفية التي كان يستند عليها علم الجمال يجب ان تتكئ على ما يقدمه الواقع من معلومات ثابتة، ولا بد من الأعتماد على المنهج العلمي للوصول الى المعلومة، والاعتماد على الإستقراء لدراسة الأحكام الجمالية، مما يضفي بالباحث الى ان يبدأ بدراسة الأذواق والأختبارات الفردية لتحقيق الدقة التي يتطلبها المنهج التجريبي، لذا فقد تعددت الآراء بالنظر الى الجمال والجماليات ومعانيها عند الفلاسفة والمفكرين ما بين مثل ومتعة ولذة ومباطنة وإنسجام، وهل هو علم حقاً، وهل ينبغي إبعاد القبح من الدراسات الجمالية، وما هي علاقة فلسفة الفن بالجمال؟

ابتداءً لابد من معرفة أن نظرية (افلاطون) كانت قائمة على ربط الجمال بفلسفة المُثُل، وأن الجمال برأيه هو أحد المُثُل العليا، أما الجمال الماثل فيما حولنا فيتسم بالقصور والنقصان، وكلما اقترب الشيء من مثله الأعلى زاد نصيبه من الجمال والأنسان الذي علم الجمال المطلق نراه اذا ما وقع على وجه جميل أو على شيء تبدو عليه مسحة من الجمال يرتجف وتثور في داخله أنفعالات تحمله على تقدير ذلك الشيء، والفيلسوف في نظر افلاطون يتبوأ اسمى الدرجات، اذ أن الفنان أقل أدراكا للمثل بما فيها الجمال من الفيلسوف، ويحاول افلاطون الربط

بين الجمال والحب، وان يعرض بأن الجميل هو اللذيذ، فالجميل ما يلذ سماعه، وفي انسياق افلاطون وراء نظرية تفسير لحملته ضد المحاكاة فالشاعر يحاكي الك ةنائنات المحسوسة وهذه تحاكي المثل ليغدو الشعر محاكاة المحاكاة، ثم أن فن المحاكاة بعيد عن الحق لأن الشعراء يصفون كل عمل باللون الذي يناسبه بواسطة الكلمات والجمل والإيقاع[32] وأن الجمال هو الشرط في بهاء المرئيات منتقلاً من جمال الأجسام الى جمال النفوس ومن جمال النفوس الى جمال الصور العقلية[33]، أما (ارسطو) فقد رأى أن الجمال هو الوحدة مع التناسق، ولهذا فقد أشترط في المأساة والملحمة أن تكونا مؤلفتين من فعل واحد تام ذي نسق وذي عظم محدد، وقد ((أنطلق ارسطو من الآثار الفنية التي أبدعها الشعراء والنحاة والموسيقيون والمصورون ومن الكائنات الطبيعية ليستخرج منها مفهوم الجمال والفن))[34] ، أما عند وقوفنا على مفهوم الجمال عند (الجاحظ) فنلاحظ أنه يتجسد فيما تحدثنا عنه من أمر ((التدبر والتأمل والتفكر للوقوف على أسرار الجمال))[35]، والجمال عند الجاحظ هو التمام والأعتدال ، ولهذا فهو يدخل عنده في عدة أصول يشتق منها .

ثم أنَّ الجمال موضوعي أي قائم على الأشياء ، ولذا يدخل في تقويمها من الناحية الجمالية(الحس والعقل) وبهذا فأن لها مقاييس يمكن أستخراجها واتخاذها قواعد يطبق عليها ، وهنا نلاحظ أنَّ الجانب الروحي كان مستبعداً عند الجاحظ والأهتمام كان منصباً على الماديات الحسية ، المتسمة بالأعتدال والتوسط والتناسب ولذا فقد ربطها بفنون الادب والبلاغة والخطابة والشعر[36].

أما فكرة الجمال عند (هيوم) فهي فكرة مركبة من الأفكار البسيطة لا تنتمي الى شيء قائم بذاته؛ لأن الجمال ليس جوهراً من الجواهر بل كيفية من الكيفيات، ويعتبر هيوم أنَّ الشعور باللذة يكوّن ماهية الجمال ، بينما الشعور بالألم يكوّن ماهية القبح ، ويؤكد هيوم أنَّ حس الجمال يرجع الى التعاطف ، فالشيء الذي يسبب الألم يبدو قبيحاً ، ويربط هيوم الجمال بالمخيلة من ناحية الأقناع وعدم الأقناع ، اذ تؤثر المخيلة على مشاعرنا الجمالية وتتلاعب بعواطفنا الى مدى بعيد [37] .

أما بالنسبة (لكانط) فيعد حكم الذوق عنده جمالي اذ أنه يعتمد على المخيلة في تقييمه للاشياء، وهنا يبدو حكماً غير عقلي واقرب الى الذاتية، لذا فالجمال هو صفة الشيء الذي يسرنا دون فكرة مجردة، ويميز كانط بين نوعين من الجمال الحر والاضافي، فالاول لا يفترض تجريدا كالأزهار والطبيعة والموسيقى والرسوم الملونة، والنوع الثاني هو الأنسان والنبات والحيوان اذ تقتبس عن غاية تحدد ما ينبغي أنْ تكون عليه أي الكمال ، وبالتالي فان حكم الجمال عند كانط خضع للذوق الذي يعرّفه بأنه ملكة الحكم على الموضوع بالأعتماد على المخيلة الحرة المبدعة والعفوية التي لا تخضع لسلطان العقل وإنْ كانت تتسق معه[38]، وقد تابع (سبنسر) ما قاله (كانط) قائلاً : إنَّ الشعور بالجمال أكثر تنزهاً عن الغرض من الشعور بالخير أو العدل ، ذلك أنَّ الحاجة والمنفعة هما الأصل الأول للمشاعر الأخلاقية ، بينما العواطف الجمالية ترد الى اللعب وبذلك

تكون أنقى من كل فكرة نفعية [39]، أما (شلنج) فيرى أنَّ كل إنتاج جمالي يبدأ من الفصل اللامتناهي بين النشاط الواعي للبحث والنشاط اللاواعي للطبيعة [40].

اما بالنسبة (لهيغل) فقد توسع مفهوم الجمال لديه وعالجه معالجة فلسفية انطلاقاً من مفهومه للفن بصورة عامة، اذ قال بإنَّ الفن مر بثلاثة أطوار هي: الرمزية والكلاسيكية والرومانسية، ففي الفن الرمزي مثلاً تكون الفكرة مجردة والأشكال مجردة غير مطابقة لها ويبقى التعبير عن حالة المحاولة أو التجربة، فضلاً عن ما يميزه بأنه ينطلق من التشكيلات الطبيعية التي تؤخذ كما هي، ولا يراعي التناسب فيها بين الفكرة والشكل، وهو يختلف هنا عن الفنين اللاحقين له من ناحية الشكل والمضمون، وعرف (هيغل) الجمال بأنَّه الفكرة المطلقة من حيث أنّها موجودة في ذاتها ولذاتها ، وهي ما يدخل في عداد الروح المطلق ، فعندما نقول: أنَّ الجمال فكرة نقصد به، أنَّ الجمال والحقيقة شكل واحد، اذ يصبح الجمال هو الفكرة المتصورة كوحدة مباشرة بين المفهوم وواقعه وذلك بقدر ما تتجلى هذه الوحدة في تظاهرها الواقعي والحسي. فالجمال الفني عند (هيغل) هو تعبير حسي عن الروح، إلاّ أنَّ هناك جمالاً خارجياً طبيعياً خالياً من الروح وأدنى مرتبة من الجمال الفني، ويتمثل بالشكل المحدد والموحد المتصف بالتناظر والتناغم[41] .

اما الوقوف عند (ماركس) ونزعته المادية فنراه يربط الفن ابتداءً بتركيب الأنسان البيولوجي المسلح بالحواس ، فضلاً عن قوى الغرائز والعواطف، وهي جميعا من اساسات أبداع الفن، والفن يرتبط بأشكال التطور الأجتماعي عبر العصور، وهي هنا تنتقص من الذاتية وتتصور القاعدة المادية بمثابة الواقع الحقيقي الأوحد اذ تعتبر الذاتية مفهوماً برجوازياً[42].

أما (جان جويو) فقد أعتقد أنَّ علاقة الفن بالواقع وثيقة الصلة، لأن غاية الفن الحياة أو الواقع، وهو المثل الأعلى للأنسانية، ثم أنَّ الحياة ليس شرطاً ضرورياً للجمال وإنما الفنان يلجأ للخيال عندما لا يستطيع أنْ يخلق الحياة والنشاط الحقيقي، وأنَّ خصائص الجمال عند (جويو) هي القوة والأنسجام

والرشاقة فهو يعرف الجمال بأنه أدراك أو فعل يوقظ فينا الحياة في صورها الثلاث

(الحساسية والعقل والأرادة)[43]، أما (برغسون) فهو يرى أن موضوع الفن هو تنويم القوى الفاعلة او المقاومة في شخصيتنا وحملنا على حالة من الرقة الكاملة بحيث تتقاطع من الشعور المعبر عنه في الاثر الفني، لذا فهو يفسر لنا من أين يأتي جمال الشعر ، فالشاعر هو ذلك الفنان الذي يحيل التصور الى كلام يعبر بها ، وعندما يرى هذه الصور تمر أمامنا نشعر بدورنا بالأحساسات التي أحس بها الشاعر[44]، ويحدد (كروتشه) الفن بأنه رؤية أو حدس، وأن ما يمنح الحدس التماسك والوحدة هو الشعور، اذ أن الشعور وليس الفكر هو الذي يعطي الفن صفة الرمز الأثيرية، وان الجمال الطبيعي أدنى قيمة من جمال الفن لأنه أقل كمالاً ومتغيراً، وهو أخرس لا ينطق اذا لم يستنطقه انسان[45].

أما (سارتر) فهو يجعل من القيمة الجمالية للفن المرتبة الثانية بالنسبة للمعنى والواقعية اذ يرى أنَّ المضمون هو الأهم، ويؤكد أن اولوية العنصر الفكري على العنصر الشكلي، الأديب يهتم قبل كل شيء في أن يقدم لقرائه صورة كاملة للوضع الانساني وهو اذ يفعل ذلك يلتزم ..، أما الجمالية فهي تأتي بالأضافة عندما يستطيع [46] والذي يمكن ملاحظته سابقاً أن الفلسفة قد أرتبطت بالجمال؛ وذلك لطبيعة

معنى تلك اللفظة النابعة بداية من تساؤلات المرء حول العالم والطبيعة ، ويمتد هذا التساؤل ليشمل: ما طبيعة الجميل ؟ وما هي مميزات الفنان المبدع عن غيره ؟ وما أهمية الفن في التجربة البشرية؟[47]، اذ أقترن الجمال بالحسن والفعل والخلق؛ ليتمظهر في الصور والمعاني: اذ جاء في لسان العرب، الجمال: مصدر الجميل، والفعل جَمُل، والجمال الحسن، يكون في المعنى والخلق، قال أبن الأثير: والجمال يقع في الصور والمعاني [48]، والجمالية بدورها نشأت في رحم الفلسفة؛ لأن الجمال مفهوم شمولي قبل أي شيء اخر، وهو مرن وقابل للأستخدام حتى في ميدان الأخلاق وميادين أخرى مغايرة ، وانطلاقاً من الترابط الشديد بين الجمال والفلسفة، وبالتالي الشعر الذي يعد طاقة فلسفية بينة لا رواءاً وجدانياً فقط تتجاذب فيها المقولات من منطق وسحر أبداعي وعقلانية لا حدس فقط[49]، وهذا عينه ما نراه في الشعر الصوفي، فالشاعر الصوفي ينشد الجمال الطلق في أسمى معانيه، اذ ان الحب والجمال من دعائم المُثل الفلسفية العليا، والشاعر الصوفي يرى بعين بصيرته ما لا نراه نحن، وما لا يراه غيره من شعراء مدارس الشعر الوجداني الاخرين[50] اذ أن الافكار الصوفية كانت شديدة التأثير على الفلسفة الجمالية عند العرب خاصة تلك المنبعثة من افكارهم وما يبتغون الوصول اليه، فالأنسان يستطيع التقرب من الله روحيا عن طريق التنسك وتنقية الروح، ليحصل التقارب بين الانسان والقوى الإلهية، مما يعطيه أمكانية معرفة الجمال الأصيل المتمثل بالجمال الألهي ليكتشف أن جمال العالم المادي ما هو الاّ أنعكاس للجمال الألهي[51]، اما عند (الغزالي) فنرى أنَّ الجمال مرتبط بالمحبة، وهو ناتج عن محبة حقيقية منزهة عن الغرض، ويعتقد بجمال كل شيء متحقق فيه عنصر الكمال بقوله: كل شيء فجماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له، فاذا كان جميع جمالاته الممكنة حاضراً فهو في غاية الجمال وأن كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر [52] ، والفن وسيلة لتوازن النفس السوية، وذلك من خلال التشابه بين الأنغام الموسيقية والأحوال النفسية قائلاً: إنَّ في أعماق النفس الإنسانية شوقاً نحو شيء مجهول عظيم والموسيقى هي التي تحرك هذا الشوق وتؤججه [53]، اما (ابو حيان التوحيدي) فقد تميز بوعيه الحاد بأهمية الجمال في بعديه المثالي والمادي ووظيفته النفعية على المستويين الحسي والاجتماعي منطلقا من وعيه بأن معرفة الوجود تفترض اولاً معرفة الذات باعتبارها المحطة الاولى التي تنفتح على العالم وأشياء الوجود وتسمح بمعرفتها قائلاً ((أعرف نفسك فان عرفتها عرفت الأشياء كلها، وهذا قول لا شيء أقصر منه لفظاً، ولا أطول منه فائدة ومعنى، وأول ما يلوح منه الرزاية على من جهل نفسه ولم يعد يعرفها، وأخلق به اذا جهلها أن يكون كما سواها أجهل، وعن المعرفة به أبعد)) [54]، ثم أن معرفة الذات ومعرفة الوجود لدى ابي حيان التوحيدي تقود بالضرورة الى معرفة الأله الحق ومصدر الخلق (الله تعالى) اذا عُرف العالمين عُرف الاله الذي بجوده وجد ما وجد ، وبقدرته ثبت ما ثبت، وبحكمته رتب ما رتب[55].

مفاهيم علم الجمال

وقد تتداخل مفاهيم الجمال كعلم مع مجالات اخرى للدراسة، كعلم النفس وعلم الأجتماع، لاسيما انها تبحث في الفن من جوانب متعددة، فمثلا علم النفس يهتم بردود افعال عدد كبير من الناس ازاء الفن الجيد والرديء، ويدرس علم الاجتماع انتاج فن عظيم في حضارة معينة عظيمة مثلا[56]، وهناك فرق بين الجماليات وعلم الجمال، فالجماليات تعنى بفلسفة الفن والنظرة الفلسفية الى الفنون، أي النظرة العامة أو الشاملة للفن والجمال، لذا فنرى ان بعض النقاد لم ينظر الى مفهوم الجمال بما يتعلق بالشكل الظاهر،

بل بتأثيره الروحي ووقعه النفسي، اذ يقول (أثل يفر): قد تختلف أشكال الجمال وأساليبه لكن له في النفس أثرا واحداً يعرف به: نشاط هادئ أو هدوء نشيط[57].

كذلك الفيلسوف الألماني (كانت) الذي يرى أنَّ الجميل هو الذي يرضي الجميع من غير قاعدة[58]، ثم أنَّ الذي نلاحظه في مفهوم الجمال، أنَّه قد أرتبطت به حالات الإنسجام والتلاؤم بشدة، فضلاً عن ما يبعثه من الراحة النفسية التامة، فالجميل كما يقول (أندريه لالاند) معناه: هو الشيء الذي يقابل بعض معايير التوازن، ونسب الأنسجام، وكمال الشيء بالنسبة لنوعه[59]، وقولهم ليس الجمال كمالاً، لكن للجمال قدرة ثابتة على خلق الحالة الكاملة، وهي أتحاد النشاط مع الراحة[60]، ولهذا قال (شلنج) بأنَّ الجمال هو توازن القوى الواقعية والمثالية، أتحاد الطبيعة والذات، هو المطلق[61]، والجمالية ذات أصل لاتيني، تعود تسميتها الى (باومجارتن) وتعني – التيمولوجيا – أي القدرة على الأحساس[62]، اما على المستوى المفاهيمي، فالجمالية هي جزء من الفلسفة يهتم بدراسة طبيعة الفن، وعلاقاته بالطبيعة والدين والعلم والأخلاق والجمال [63]، وأنطلاقاً من ذلك يأتي الجمال على أنه ((المعنى الشامل لعلم ونظرية النشاط الجمالي للانسان والمضمون الجوهري للنشاط الجمالي هو تشكيل العالم وفقاً لقوانين الجمال... وبوصفه علماً مهمته هي تقرير قوانين النشاط الجمالي وأشكاله المختلفة وكيفيات تحقيقها ومنظورات تطورها))[64].

وقد ظهرت في القرون الوسطى دراسة أستثنائية (لتوما الأكويني) أخضع فيها الجمال لوجهة النظر الدينية، اذ يقول: إنَّ أعلى درجات الجمال موجودة في الاله الذي يعبر عن أصل الجمال في الفن والطبيعة، وفي رأيه يجب أن تتوفر ثلاثة شروط من اجل تمييز الجميل وهي الكمال والتناسب الصحيح ثم الوضوح [65]، ثم أن (روبير) يميز بين الجمالية باعتبارها علماً يهتم بالجمال في الطبيعة والفن، والتصور الخاص بالجمال والاحساس به ، وتحديد المجالات المتعددة لهذا العلم التي تشمل الفلسفة، وعلم النفس وسوسيولوجيا الفن، وبين الجمالية باعتبارها صفة ملازمة للأحساس، وتشمل هذه الصفة الاحساس الجمالي، والحكم الجمالي، والانفعال والعاطفة الجمالية ...، ولهذا فقد تعددت مفاهيم الجمالية كما عند (شارل موراس) الذي يرى أنَّ الجمالية هي علم الاحساس، ونجد أنَّ الجمالية عند (تين) هي مرادفة لتحديد طبيعة الفن وشروط وجوده، بل هو السبيل الى أقامة فلسفة للفنون الجميلة[66]، وعلى ما يبدو أنَّ الجمالية تصنيف وسط بين الفلسفة والعلم، فهي تنتمي الى الفلسفة من حيث كونها تطرح نقاشاً أستمولوجياً انطلاقاً من الطرح المفاهيمي الذي تشيد من قبيل التصور الجمالي، والتفكير في الجمال، الحكم الجمالي، الذوق الجمالي ... أي أنها عوض أنْ تفعل الجمالية، فإنَّها تقول الجمالية والأستمولوجيا هي فلسفة، والجمالية تنتمي الى العلوم من حيث كونها تسعى الى تأسيس علم للجمال يكون موضوعه الفن أو العمل الفني[67]، وقد جاء في المعجم الفلسفي بأنَّ الجمال صنعة تلحظ في الأشياء وتبعث في النفوس رضىً وسروراً، وهو أحد المفاهيم الثلاثة التي تنسب اليها أحكام القيم، أي (الجمال الحق والخير)، وقال (كانت) الجمال هو ما يبعث في النفس الرضا، دون تصور أي ما يحدث في النفس عاطفة خاصة تسمى بعاطفة الجمال، والجمال مرادف للحسن، وهو تناسب الأعضاء، والعلم الذي يبحث في الجمال ومقاييسه ونظرياته يسمى بعلم (الجمال) وهو باب من الفلسفة ... والجمال تناسب واعتدال يرضيان النفس، وعلم الجمال باب من الفلسفة وهو قسمان: قسم نظري عام، وقسم عملي خاص، أما

القسم النظري فيبحث في الصفات المشتركة بين الأشياء الجميلة التي تولد الشعور بالجمال، فيحلل الشعور تحليلاً فلسفياً ويفسر طبيعة الجمال تفسيراً فلسفياً، وأما القسم العملي الخاص ، فيبحث في مختلف صور الفن وينقد نماذجها المفردة، ويطلق على هذا القسم اسم (النقد الفني)، وهو لا يقوم على الذوق وحده، بل يقوم على العقل، والجمالي هو المنسوب الى الجمال، كالشعور الجمالي، والحكم الجمالي ، والنشاط الجمالي[68]، وقد جاءت كثيرا كلمة (أستطيقا) أو (أستطيقي) كمرادفة للفظة الجمال الاّ أنّها لفظ اطلق في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ليدل على العلم الخاص بالمعرفة الحسية، وأول من اطلقه (باومجارتن) ليصبح علماً يوازي ويكمل المنطق، فقد استقل عن الفلسفة وأصبح فرعاً من فروعها، وقد ظهرت كلمة (أستطيقا) في بحث قدمه باومجارتن 1735 كأسم لعلم خاص يقوم بدراسة المدركات الحسية، اذ عرف علم الأستطيقا بأنه علم المعرفة الحسية ، ونظرية الفنون الجميلة، وعلم المعرفة البسيطة، وفن التفكير على نحو جميل، وفن التفكير الأستدلالي[69]، والأستطيقي ليس هو الجميل والعكس ذلك صحيح، بل أن الجمال ذاته، أي عناصر الجمال في الجميل، وهذا ما يمكن ان نراه في الشعر عادة ، والذي تعد اللغة مادتها الأولى ، فلا يمكن الأنتباه مثلا الى اللغة العادية ؛ لأن الجمال يتركز في معناها فقط ، وانما الوقوف على اللغة في الفن ومنه الشعر ، ليجذب الأنتباه اليه في ذاته ، لأن فيها تعبيراً مباشراً ، فعناصر الجمال في العمل الفني لا تستهدف غاية خارجية عنها ، وانما غايتها كامنة فيها ، والكشف عنها هي المتعة الجمالية[70]، وهذا بدوره يحيلنا الى كلام غاستون باشلار الذي يقول: ((علينا في الواقع أن نوجد وسائط لا حصر لها بين الواقع والرمز اذا اردنا ان نعطي الاشياء كل ما توحي به من حركة))[71]، كذلك نسج نظام من العلاقات يتولد الربط بين محاورها ومستوياتها دلالات متكاملة تعكس حيوية النص ومرونته، فضلاً عن ما فيه من صور وعلاقات ناتجة عن تلك الصور تعكس جمالية الأجزاء، ما يظهر منها ظاهرياً وما تختزنه باطنياً يعد البناء الجمالي الكلي لعالم متكامل من العلاقات فيغدو النص نوعاً من الأكتشاف وفتح الافاق والتفاعل والتآصر، ويحل الأمتزاج بين الواقع والرمز وهو الحركة الكونية لتحديد مسير السياق العام، فضلاً عما يتشكل منه أفق القراءة الناتج عن دلالات الرمز مثلاً المتعددة والعلاقات بين الدال والمدلول والنظرة الكلية الشاملة للنص وربطها بالدلالات الأجتماعية والسياسية، وهو ما يكسب بنية النص الأنفتاح والجمالية في الوقت عينه، بالأمتزاج بين مستويات النص جميعها وبنيته، ليكشف عمق العلاقات البنائية اولاً، وجماليتها في حركتها والتحولات التي تجري داخلها ثانياً للتعبير عن المستوى الذي ينبغي الوصول اليه . وبما أن الجمال هو توازن وأنسجام في الخطوط والأصوات والألوان، وأثره في النفس توازن وأنسجام[72]، فقد أخذت مسألة تنظيم الكلمات ونظمها أهمية كبيرة في جماليات التشكيل الشعري ،وفي خلق التفاعل في البنية الصورية للنص والذي يعطي ثراءاً واشعاعاً معنوياً،وتعد فكرة(النظم) التي قال بها الجرجاني محور التشكيل الجمالي للسياق والنص عامة، اذ انها تستعمل عادة للدلالة على كل ما له صلة بالبحث في الهيئات النحوية للكلمات وما قد ينتج عنها من مزية او جمال، وتطلق أحيانا مرادفة أو دالة على المعاني القائمة في النفس، وذلك عندما تكون المزايا في المعاني موضعية ذوقية، فلا يدور موضعها على صواب عرضي وانما يدور على جمال خاص يؤتاه المنشئ او المبدع في موضع دون موضع ويتأتى للكلمة في مقام دون مقام، وملاحظة الحاح عبد القاهر الجرجاني على دور العناصر اللغوية في النص ودور النشاط اللغوي الذي يرتد الى أشارات وملامح بسيطة ومحددة كـ (ال التعريف) مثلاً واغراضها، ثم ان كل ما في اللغة والشعر من خصب انما مرده الى استغلال هذا التعريف او هذا النشاط اللغوي المتكرر أستغلالاً لا يخرج بها عن هذه المعاني، ويصبح

الأساس في تفهم بنية اللغة والشعر، وهو وجود مثل هذه الخاصيات الدقيقة الملازمة للكلمات والصيغ[73]، فضلاً عن دور النظام النحوي في الشعر، أي أهمية الخلق الخيالي الشعري الذي يعمل على تذوق المدلول الحيوي للظاهرة النحوية ويوضح علاقتها بنشاط التركيب أو السياق وما يمكن أن تعكس من تأثيرات وجدانية ونفسية كبيرة قد أُشير اليها سابقاً تحت مسميات عدة كالصبوة والأرتياح والطرب التي أشار اليها القاضي الجرجاني، و (حسن البيان) التي الح عليه الرماني، والذوق أو الأحساس الروحاني وطلب الأصغاء وما يعرض في نفس المتلقي من الأريحية والسرور والتشويق الذي شغف به عبد القاهرالجرجاني[74] معنى أنها لا تحدد الذي يجب أن نعتمده بوجه عام في عملية التذوق الفني ، بل أنها ترى أن الفن يمكن أن تكون له قيمة جمالية لا بأس بها حتى اذا كان كئيباً حزيناً[83].

الخاتمة :

يعد الجمال من القيم العليا التي يمكن تلمسها في كل ما حولنا ، اذ نراه يطالعنا في واقع الحياة بجمال الطبيعة وما فيها من الوان وأصوات وحركات يتحكم في حدوثها وبطابعها المميز المكون الجمالي لها ، فتغدوا مشهداً متنوعاً يعمل بقوى نسبية مختلفة وحركية تتداخل فيها مكونات متناسقة في المكانة والمغزى كضرورة من ضرورات عملية الموائمة والتكيف بالظهور والاختفاء والتقدم والمصاحبة وكلٌ منها يكمل بعضه بعضاً تكاملاً متبادلاً للإسهام في توجيه المشهد الجمالي بصورة عامة، وان الوقوف عند ما يسمى بـ (الجمال) في الفكر الإنساني يتضمن بعدين هامين: أولهما البعد التاريخي الذي يشمل التطورات التي شملت دراسة الجماليات ابتداءً من القديم الى الدراسات الحديثة، والثانية: تسليط الضوء على صور الجمال وأوجه الإهتمام بها وعلاقتها بمختلف الظواهر الإنسانية والثقافية والإجتماعية، إذ خضع الفكر الجمالي الى تطور كبير بدءاً من الأصول الى ان تشعب الى تطورات وأفكار مختلفة شملت الجمال والأستطيقا الخاضعان الى أثر تطور الثقافة، فقد بدأ الإهتمام بالجمال واقعاً ضمن المنظور الفلسفي، بل ضمن الهيكلية الفلسفية العاملة المتكونة من المعرفة والوجود والأخلاق، فالجمال في كل ذلك كان له وقع خاص في إمتزاج تلك الأركان الفلسفية، ليتمخض عنها أُسس فلسفية خاصة تُعنى بالجمال، ليبرز لنا دور الفن والفنان في إبراز ملامح الجمال فيما يمتاز به هذا الفن ، وما يبدعه هذا الفنان على مختلف الأصعدة المادية والحسية.

الهوامش

(1) الفن والحياة ، ايردل جنكنز ، ترجمة احمد حمدي محمود ، مراجعة علي ادهم ، المؤسسة المصرية العامة للترجمة والطباعة والنشر ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ص. 54

(2) الفن والحياة ، ايردل جنكنز ، ص.199.

(3) فلسفة الفن (مدخل الى علم الجمال) ، تأليف جوردون جراهام ، ترجمة محمد يونس ، سلسلة افاق عالمية (114)، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، 2013م ، ص. 67

(4) فلسفة الجمال في الفكر المعاصر ، د. محمد زكي العشماوي ، دار النهضة العربية ، 1980 ، ص. 11

(5) ينظر: فلسفة الجمال في الفكر المعاصر، د. محمد زكي العشماوي، ص. 22

(6) ينظر: فلسفة الفن (مدخل الى علم الجمال) ، جوردان جراهام ، ص. 57
(7) المصدر نفسه ، ص. 89
(8) ينظر: المجمل في فلسفة الفن ، ترجمة وتقديم سامي الدروبي ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 2009 ، ص. 130
(9) المصدر نفسه ، ص. 130
(10) ينظر: ملحق موسوعة الفلسفة، د.عبد الرحمن بدوي،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط1، 1996، ص..114
(11)) مبادئ الفن ، روبين جورج كولنجود ، ترجمة احمد حمدي محمود ، تقديم ماهر شفيق فريد ، مراجعة علي ادهم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مهرجان القراءة للجميع، 2001، ص.80
(12) المصدر نفسه ، ص. 80
(13) فلسفة النظريات الجمالية ، غادة المقدم عذره ، جروس برس ، ط1 ، 1996 ، لبنان ، ص. 39
(14) المصدر نفسه ، ص. 39
(15) فلسفة النظريات الجمالية ، غادة المقدم عذرة ، ص. 40
(16) فلسفة النظريات الجمالية ، غادة المقدم عذرة ، ص. 47
(17) المصدر نفسه ، *ص48*
(18) النقد الجمالي واثره في النقد العربي ، روز غريب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1952 ، ص. 7
(19) ينظر : معنى الفن ، هربرت ريد ، ص. 53
(20) ينظر: الوعي والفن ، غيورغي غاتشف ، ص. 37
(21) ينظر: الوعي والفن ، غيورغي غاتشف، ص. 49
(22) مشكلة الفن ، د. زكريا ابراهيم ، سلسلة مشكلات فلسفية (3)، الناشر مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، ص.3
(23) المعنى الجمالي ، د. عقيل مهدي يوسف ، دار مجدلاوي ، عمان ، ط1 ، 2008 ، ص. 41
(24) فلسفة كانط النقدية ، جيل دولوز ، تعريب اسامة الحاج ، ط1 ، 1997 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان ، ص. 91
(25) معنى الجمال (نظرية في الاستطيقا)، ولترث ستيس، ترجمة امام عبد الفتاح، المجلس الاعلى للثقافة، 2000، ص. 40
(26) مقدمة في علم الجمال وفلسفة الفن ، د. اميره حلمي مطر ، دار المعارف ، ط1 ، 1989 ، ص. 8
(27) ينظر: تشريح النقد (محاولات اربع) ، ترجمة د. محمد عصفور، عمان، الاردن، منشورات الجامعة الاردنية، 1991، ص118 – 145.
(28) قضايا الشعرية ، رومان ياكبسون ، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء المغرب ، ص11.
(29) ينظر: الخبرة الجمالية (دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية) ، سعيد توفيق ، المواصلة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط1 ، 1992 ، ص173.

(30) الاسس النفسية للأبداع الفني في الشعر خاصة ، د. مصطفى سويف ، دار المعارف ، ط4 ، المقدمة.
(31) المصدر نفسه ، المقدمة.
(32) ينظر: في الجماليات (نحو رؤية جديدة الى فلسفة الفن) ، د. علي ابو ملحم ، ط1 ، 1990 ، المؤسسة العالمية للدراسات والنشر والتوزيع ، ص11-14-18.
(33) ينظر: ملحق موسوعة الفلسفة، د. عبد الرحمن بدوي، ص .108
(34) المصدر نفسه ، ص. 26
(35) المصدر نفسه ، ص. 32
(36) ينظر: في الجماليات ، د. علي ابو ملحم ، ص. 32
(37) ينظر: المصدر نفسه ، ص. 44
(38) ينظر: في الجماليات ، ص56 ، وملحق موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، ص.109
(39) ينظر: المصدر نفسه ، ص. 61
(40) ينظر: ملحق موسوعة الفلسفة، ص.109
(41) ينظر: المصدر نفسه ، ص72-. 73
(42) ينظر: المصدر نفسه ، ص. 79
(43) ينظر: في الجماليات ، ص. 92
(44) ينظر: في الجماليات ، ص. 93
(45) ينظر: المصدر نفسه ، ص98 – 99 – . 100
(46) ينظر: فلسفة النظريات الجمالية ، غادة المقدم عذرة ، ص. 10
(47) ينظر: المصدر نفسه ، ص. 105
(48) ينظر: لسان العرب ، ابن منظور ، دار المعارف ، ج1 ، ص685 ، مادة (جمل).
(49) ينظر: المعنى الجمالي ، د. عقيل مهدي يوسف ، ص. 79
(50) ينظر: معالم الرمزية في الشعر الصوفي ، نور سلمان ، رسالة دكتوراه مطبوعة بالالة الكاتبة لنيل شهادة (أستاذ في العلوم) ، الجامعة الأمريكية ، بيروت ، 1957، ص. 14 .
(51) ينظر: فلسفة النظريات الجمالية ، ص. 68
(52) ينظر: الجماليات ، (بحث في المفهوم ومقاربة للتمظهرات والتغيرات) ، د. عبد المجيد شكير ، دار الطليعة الجديدة، سوريا، دمشق، ط1، ص. 56 .
(53) ينظر: المصدر نفسه ، ص. 57
(54) ينظر: المصدر نفسه ، ص. 58
(55) ينظر: المصدر نفسه ، ص. 58
(56) ينظر: فلسفة النظريات الجمالية ، ص. 8
(57) ينظر: النقد الجمالي واثره في النقد العربي ، روز غريب ، ص. 21
(58) ينظر: النقد الجمالي وأثره في النقد العربي ، روز غريب، ص. 21
(59) ينظر : موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل احمد خليل،منشورات عويدات،بيروت، باريس،ط2، 2001 ، ص. 79

(60) النقد الجمالي ، ص. 37
(61) ينظر ، المصدر نفسه ، ص. 36
(62) ينظر: الجماليات ، د. عبد المجيد شكير ، ص.10
(63) ينظر، فلسفة النظريات الجمالية ، ص.10
(64) ملحق موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي،ص.107
(65) ملحق موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، ص.12
(66) ينظر: الجماليات ، عبد المجيد شكير ، ص.11
(67) ينظر: الجماليات ، عبد المجيد شكير، ص.13
(68) ينظر: المعجم الفلسفي (للالفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية) ، د. جميل صليبا ، ج1 ، دار الكتاب اللبناني، 1982 ، ص407-408-. 409
(69) ينظر: الأسس الجمالية في النقد العربي (عرض وتفسير ومقارنة)، د.عز الدين اسماعيل، دار الفكر العربي،1992،ص.15
(70) ينظر: المصدر نفسه، ص97-.98
(71) جماليات المكان ، غاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، ط2 ، 1984 ، ص.41
(72) ينظر: نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، د. ناصر سلوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، سوريا، 1983،ص.112
(73) ينظر: المصدر نفسه ، ص129 –.130
(74) ينظر: نظرية اللغة والجمال في النقد العربي ، د. ناصر سلوم ، ص163 ،وينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي عبد العزيز الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل وعلي البجاوي،مطبعة عيسى الحلبي، 1966، ص33، وينظر: ثلاث رسائل في أعجاز القرآن (للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني)، تحقيق محمد خلف الله و د.محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1968، ص103، وينظر: دلائل الأعجاز، الشيخ الأمام ابي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، قرأه وعلق عليه أبو فهر(محمود محمد شاكر)، الناشر مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط3، 1992، ص364-.366
(83) ينظر: المصدر نفسه، ص.56